الفصل الأول

البعد الجغرافي والتاريخي للمملكة العربية السعودية

- المبحث الأول: الواقع الجغرافي
  - المنطقة الوسطى
  - المنطقة الغربية
  - المنطقة الجنوبية
  - المنطقة الشرقية
  - المنطقة الشمالية
  - المناخ
  - السكان والاقتصاد
- المبحث الثاني: التاريخ السياسي للمملكة العربية السعودية
  - الدولة السعودية الأولى
  - الدولة السعودية الثانية
  - الدولة السعودية الحديثة
  - الشرعية التاريخية للنظام السياسي السعودي

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

الواقع الجغرافي

المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية حديثة لها جذورها التاريخية التي تمتد على مدى قرنين ونصف القرن، وهي دولة تنتمي للحضارة العربية الإسلامية، إحدى أهم وأعرق الحضارات الإنسانية، والمملكة هي موئل العروبة ومهبط الوحي لآخر الرسالات الالهيه وبها الحرمان الشريفان وإليهما تهفو أفئدة المسلمين في أرجاء المعمورة.

يرتبط التطور والفكر السياسيين لأي بلد ارتباطا وثيقا بمقتضيات العناصر الأيديولوجية والاجتماعية وكذلك التاريخية والسياسية في نفس الوقت. وعليه فإن المملكة العربية السعودية ليست استثناء من تلك القاعدة. فقد كانت مسيرة التطور والبناء السياسي نتيجة طبيعية لتلك العناصر آنفة الذكر.

وتحتل المملكة العربية السعودية أكثر من ثلاثة أرباع شبه الجزيرة العربية، أو ما يقارب مليونين وستمائة وثلاثين ألف كيلو متر مربع، ويحدها من الشمال الكويت والعراق والأردن، ومن الجنوب اليمن وعمان ومن الشرق الإمارات العربية المتحدة وقطر والخليج العربي والبحرين، ومن الغرب البحر الأحمر. وتقسم المملكة العربية السعودية إلى خمس مناطق جغرافية هي المنطقة الوسطى، والمنطقة الغربية، والمنطقة الشرقية، والمنطقة الجنوبية، والمنطقة الشمالية على طول حدود الأردن

obeikandl.com

والعراق. كما أنها تضم معظم الأقاليم الطبيعية للجزيرة العربية، مثل نجد والحجاز وسهول تهامة وجبال السروات وعسير والاحساء وصحاري الربع الخالي والنفوذ وما يرتبط بها من أقاليم فرعية.

المنطقة الوسطى:

يشكل أقليم نجد ما يمكن أن نسميه بالمنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية، نظراً لتوسطه الجغرافي لمساحة المملكة. وتتكون المنطقة الوسطى من ثلاث مناطق إدارية هي إمارة منطقة الرياض وإمارة منطقة القصيم وإمارة منطقة حائل. وتشغل منطقة الرياض معظم مساحة المنطقة الوسطى، وهي أكبر مناطق المملكة الادارية، وتضم أقاليم اليمامة والافلاج والدواسر وسدير والعارض والمحمل والوشم وغيرها من أقاليم نجد التاريخية.

والنجد في اللغة ما علا من الأرض، ويحد إقليم نجد من الغرب الحجاز، ويمتد شرقاً حتى الدهناء والاحساء. بل أن بعض المناطق التابعة لإمارات مكة والمدينة وعسير والشرقية ونجران، تعتبر من أقليم نجد مثل أطراف الربع الخالي والصمان وبيشة وتثليث والخرمة وتربه. وتزخر نجد بكثير من الأودية، ومن أهمها وادي حنيفة ووادي الرمة، وهما من أكبر أودية شبه الجزيرة العربية. وتتكون نجد من مجموعة من الواحات التي تتشابه في تشكيلها وتختلف في مساحتها، وتمتد هذه الواحات من القصيم إلى وادي الدواسر على أطراف سلسلة جبل طويق، وتتفاوت

ارتفاعات المنطقة الوسطى بين كل من القصيم و حائل و الرياض، ونجد مليئة بالسهول والجبال، والأودية والشعاب والواحات والقفار، وفيها أراضٍ منبسطة فسيحة، لا كلأ فيها ولا ماء كالصمان، و صحاري أخرى تكثر فيها المراعي كالدهناء، وفيها سهول تزرع مرتين في العام كالوشم وواحات تكثر فيها المياه وتتعدد فيها البساتين مثل القصيم وحائل.

وقد أدت نجد دورا مهما في التاريخ السعودي، فمنها خرجت الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي كان تحالفه مع الإمام محمد بن سعود إيذاناً بميلاد الدولة السعودية، ومن ناحية أخرى أثر طابعها الجغرافي تأثيرا مهما على تطورها السياسي، حيث ظل النجديون دائماً متأثرين بالحركة الإصلاحية محافظين عليها، بعيدين كل البعد عن تأثير النفوذ الأجنبي.

وتضم هذه المنطقة مدينة الرياض وهي عاصمة المملكة العربية السعودية كما أنها تعدُّ أكبر مدن المملكة وأكبر مدن نجد، وقد أطلق عليها هذا الاسم بسبب الحدائق الخضراء وبساتين النخيل الموجودة في وادي حنيفة الذي يخترق هذه المدينة التي تضاعفت مساحتها عشرات المرات بفضل الله أولاً ثم النهضة النموذجية الحديثة التي تشهدها المملكة العربية السعودية.

المنطقة الغربية:

تضم المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية منطقتين إداريتين هما مكة المكرمة والمدينة المنورة وجزءاً من منطقة تبوك. ويشكل إقليم الحجاز معظم مساحة هذه المنطقة.

والحجاز هو مهد الإسلام، وتوجد فيه أقدس مدينتين إسلاميتين وهما مكة المكرمة والمدينة المنورة لوجود الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة بهما. ويفد إلى الحجاز ملايين الحجاج والمعتمرين كل عام، وقد أثر ذلك على جغرافية السكان بها، فكانت أكثر انفتاحاً وأقل تجانساً عن باقي مناطق المملكة. وبالإضافة إلى الأهمية الدينية للحجاز فإن لها أيضاً أهمية تجارية، حيث تؤدي مدينة جدة دوراً مهماً في التجارة مع العالم الخارجي (الشلهوب، ١٩٩٩).

وإقليم الحجاز، في جملته مستطيل الشكل ويمتد من معان شمالاً إلى سهول تهامة ومرتفعات السروات جنوباً، ويطلق على السهل الساحلي من الحجاز اسم تهامة الحجاز التي تطل عليها جبال السراة من الشرق، كما يضم بعض الأودية والمناطق الشرقية المنحدرة من جبال السروات.

وتوجد بالحجاز بعض الواحات الخصبة، ولكن هذه الواحات متفرقة وتقع بين الأخدود الرئيسي في هذا الإقليم وأعلى حافة المنحدر الشرقي في اتجاه قلب الجزيرة العربية.

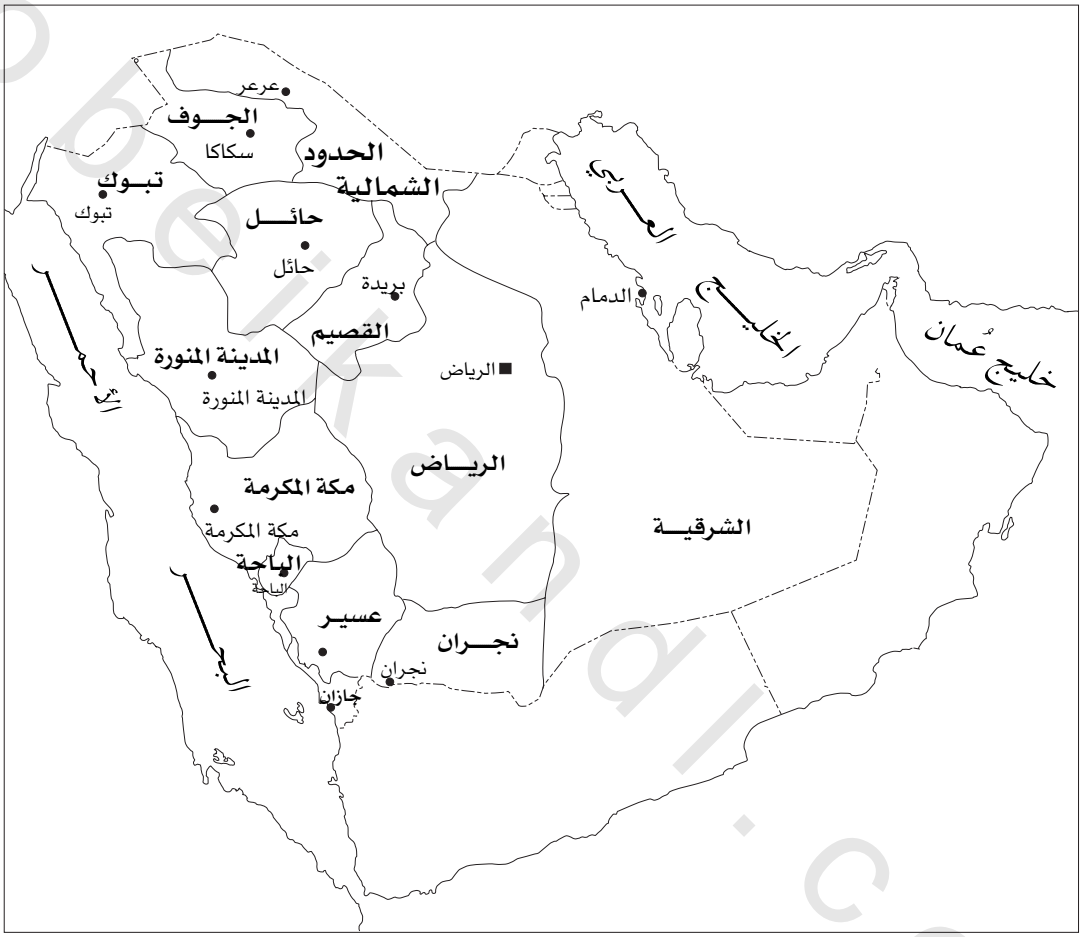

خريطة مناطق المملكة العربية السعودية(*)

(*) المصدر: الشلهوب ١٩٩٩م .

obeikandl.com

ولم ينظر إلى منطقة الحجاز كمنطقة زراعية، لأن إنتاجها في العهود السابقة لم يكن يفي بحاجة السكان، ومع ذلك فإن الزراعات القليلة كانت تشكل الحرفة الرئيسية للسكان المستقرين في المدن، وكان هؤلاء السكان يشكلون ثلث إجمالي مجموع سكان الحجاز، بينما كان الثلثان الآخران، عبارة عن قبائل متفرقة تعيش عيشه البداوة، أما سكان الساحل فكانوا يعيشون على صيد البحر. ولذلك فقد كانت أهم واردات الحجاز تتمثل في المواد الغذائية بينما يُمثل التمر والجلود والحناء والصمغ أهم صادراتهم وظلت مكة أعظم مركز تجاري في قلب الجزيرة العربية لموقعها الجغرافي ومكانتها الدينية.

المنطقة الجنوبية:

يتكون الإقليم الجنوبي والجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية من أربع مناطق إدارية هي عسير وجازان ونجران والباحة، وتعد منطقة عسير من أهم مناطق الإقليم الجنوبي من المملكة العربية السعودية، وهي منطقة تتميز بالتنوع البيئي حيث يجتمع فيها البيئات الأربع البحرية على ساحل البحر الأحمر، وبيئة السهول الساحلية والبيئة الجبلية ثم البيئة الصحراوية في شرق المنطقة، وتمتد من الحجاز شمالاً حتى اليمن جنوباً ومن البحر الأحمر غرباً حتى نجد شرقاً. وتتميز هذه المنطقة بتجانس سكانها، وكانت عسير تعتمد فيما مضى، بشكل رئيسي على الزراعة وحدها، وتعد عسير الآن من المصايف المميزة في المملكة.

تتميز عسير بجبالها الشاهقة الشديدة الانحدار التي تواجه البحر الأحمر من الجهة الشرقية وتنحدر نحو سهول تهامة على ساحل البحر الأحمر، ومن الشرق تنحدر الجبال بشكل تدريجي نحو نجد والربع الخالي، وينحدر من جبال السروات شرقاً وغرباً أودية كبرى مثل وادي بيشة ووادي عتود ووادي بيش، وتتشابه منطقة الباحة مع منطقة عسير من حيث البيئة الطبيعية والسكانية، وتختلف عنها في المساحة. أما جيزان، فتمثل سلة غذاء المملكة، حيث تشتهر بخصوبة أرضها وكثرة أوديتها وبيئتها البحرية المتميزة. وهناك كثافة سكانية نسبية في مناطق عسير وجيزان والباحة، بعكس منطقة نجران التي تتميز بيئتها الصحراوية الشبيهة بمنطقة نجد وبقلة السكان، وإن كان هناك وفرة في المياه وخصوبة في الأرض وكثافة في تركيز السكان على ضفتي وادي نجران.

المنطقة الشرقية:

تغطي المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية المساحة الواقعة بين صحراء الدهناء والخليج العربي. وتمتد بمحاذاة الخليج العربي، من الكويت في الشمال إلى صحراء الربع الخالي (أكبر صحراء رملية في العالم) في الجنوب، وتمثل الجزء الرئيسي من الساحل الغربي للخليج العربي الذي يمتد من البصرة في الشمال إلى عمان في الجنوب. وتوجد واحة الإحساء في المنطقة الشرقية وهي منطقة زراعية تتمتع بالمياه

الوفيرة، ومن مدنها القديمة الرئيسية الهفوف والقطيف والعقير والجبيل، أما الدمام والظهران والخبر ورأس تنورة، فهي مدن جديدة في المنطقة ظهرت مع اكتشافات النفط. وتعتبر المنطقة الشرقية واحدة من أغنى مناطق انتاج النفط في العالم.

وتعتبر إمارة المنطقة الشرقية من أكبر وأهم المناطق الإدارية الثلاث عشرة في المملكة العربية السعودية، وتمتد ما بين إمارة الحدود الشمالية إلى إمارة منطقة الرياض من الشمال والغرب إلى إمارة نجران جنوباً، حيث يدخل في نطاق إشرافها الإداري جزء كبير من الربع الخالي.

المنطقة الشمالية:

تمتد المنطقة الشمالية والشمالية الغربية للمملكة العربية السعودية على طول الحدود الشمالية للمملكة مع العراق والأردن وتشمل ثلاث مناطق إدارية هي منطقة الحدود الشمالية ومنطقة الجوف ومنطقة تبوك. وتمتاز هذه المناطق بوجود الكثير من المناطق الأثرية للحضارات القديمة. وتتشابه هذه المنطقة في طبيعتها الجغرافية مع منطقة نجد، فهي صحراوية تتخللها الواحات والمراعي، ما عدا المنطقة الساحلية على البحر الأحمر والتابعة لمنطقة تبوك. المنطقة الشمالية والشمالية الغربية منطقة قليلة السكان وإن كان بها بعض الواحات المهمة مثل الجوف، وقد تطورت المنطقة في العقود الأخيرة وازدهرت الزراعة فيها وكبرت مدنها القديمة مثل تبوك والجوف، بل وظهرت مدن جديدة مثل عرعر وغيرها.

المناخ:

تفتقر المملكة العربية السعودية للأنهار الجارية، كما أن أمطارها غير منتظمة ويبلغ معدل كميات هطول الأمطار السنوية حوالي ٥,٩ مليمتر، وفي عسير يمكن أن يصل هذا المعدل إلى ٩١ مليمترا (الشلهوب، ١٩٩٩)، ويتَّسم المناخ عموماً بالجفاف والبرد القارس شتاء والحر الشديد صيفا، حيث تصل درجات الحرارة في بعض المناطق إلى ٤٩ درجة مئوية صيفاً، وقد تنخفض في الشتاء إلى ما دون درجة التجمد، إلا أن درجة الرطوبة النسبية قد تصل إلى ١٠٠ ?على شواطئ البحر الأحمر والخليج العربي. على العموم فإن المناخ الصحراوي هو السائد في المناطق الداخلية، أما على السواحل فهو أكثر اعتدالاً، وإن كان أكثر رطوبة. وفي الجنوب الغربي يكون المناخ أكثر اعتدالاً في الصيف.

السكان والاقتصاد:

أظهر الإحصاء السكاني الذي أجري عام ١٩٩٢م أن عدد سكان المملكة العربية السعودية من السعوديين قد بلغ ما يقارب ١٢ مليوناً، كما بلغ تعداد السكان الوافدين أكثر بقليل من ٤,٥ مليون، ويعتبر معدل الخصوبة في المملكة من أعلى المعدلات في العالم، ولذلك فإن عدد السكان يقترب حالياً من العشرين مليون.

وقد اعتمد الاقتصاد السعودي بشكل رئيس فيما مضى على الزراعة والرعي وتربية المواشي (وزارة التخطيط، ١٩٩٦)، كما كان حج المسلمين

Obeikandl.com

إلى مكة المكرمة يعدُّ مصدراً رئيساً للدخل في مدن الحجاز. ومنذ اكتشاف النفط وإنتاجه وتصديره بعد الحرب العالمية الثانية، أصبحت المملكة العربية السعودية تعتمد اعتمادا شبه كامل على النفط أهم مصدر للدخل القومي. وقد أدى اكتشاف النفط إلى إحداث تغيير جوهري في كافة مظاهر الحياة في المملكة وقد عمدت الحكومة إلى وضع خطط تنموية خمسية ابتداء من عام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) استهدفت تحسين النمو الاقتصادي بتغيير القاعدة الاقتصادية وتشجيع الانتاج، وقد شملت هذه الخطط تطويراً شاملاً لأداء جميع قطاعات التعليم والصحة والزراعة والبنية التحتية (مؤسسة النقد العربي،١٩٩٩)، وآخر خطة هي الخطة الخمسية السابعة ١٤٢٠ - ١٤٢٥هـ (٢٠٠٠-٢٠٠٥م) وهي تحت التنفيذ حالياً، حيث يمر الاقتصاد السعودي في مرحلة تحوليه نوعية من خلال برامج إعادة الهيكلية وتحرير الاقتصاد وبرامج التخصيص.

obeikandl.com

الدولة الإسلامية منذ بداية البعثة النبوية الشريفة وما تلاها من العهود التي تعاقبت على الخلافة الإسلامية حتى يومنا الحاضر(*)

فجر الإسلام

بعثة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وبداية الهجرة المحمدية إلى المدينة المنورة

↓

الخلفاء الراشدون (١١-٤٠هـ/ ٦٣٢-٦٦٠م)

↓

الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٤٩م)

↓

الدولة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٤٩-١٢٥٨م)

↓

الدولة الأيوبية (٥٧٠-٦٤٨هـ/ ١١٧٤-١٢٥٠م)

↓

دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)

↓

الدولة العثمانية (٩٢٣-١٣٢٧هـ/ ١٥١٧-١٩٠٩م)

↓

الدولة السعودية (١١٥٧هـ -.../ ١٧٤٤م - ...)

(*) هناك بعض الدويلات التي قامت أثناء تلك الفترة ولم يتم ذكرها لقصر مدة استمرارها.

المصدر: رسائل أئمة دعوة التوحيد.

obeikandl.com

المبحث الثاني

التاريخ السياسي للمملكة العربية السعودية

بعد أن استجابت هذه البلاد لرسالة السماء، التي حمل لواءها نبينا محمد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلم-، نشأت دولة الإسلام، وارتفعت راياتها واتسعت حدودها شرقاً وغرباً ونشرت دين الله، ومع اتساع هذه الدولة انتقلت قاعدة الإسلام من المدينة المنورة إلى دمشق ثم إلى بغداد والقاهرة وقرطبة، وبعد أن نهش الطامعون أطراف الدولة العباسية عانت الدولة الإسلامية من تفكك سياسي وتخلف اقتصادي واجتماعي وانحرافات عقديَّة، وأصاب الإهمال وسط الجزيرة العربية على وجه الخصوص: أي اليمامة وما حولها فانعدمت الولاية للخلافة، وحلت محلها ولاءات قبلية وعائلية أدت إلى صراعات ونزاعات طويلة ودموية ونتج عن ذلك ضعف الوازع الديني. وشاء الله سبحانه وتعالى أن تتغير هذه الأوضاع و تحدث الإنطلاقة الكبرى نحو الدولة الحديثة التي تتخذ من الإسلام ركيزة أساسية، تستند إليها كافة الركائز الأخرى، وتحقق ذلك في الدولة السعودية الأولى ثم الدولة السعودية الثانية وبعد ذلك في الدولة السعودية الحديثة ممثلة في المملكة العربية السعودية.

سوف نقوم بإلقاء الضوء - بصورة مختصرة - على التاريخ السياسي للدولة السعودية في مراحلها الثلاث.

الدولة السعودية الأولى:

كانت نجد مهداً خصباً للصراع على السلطة بين الأسر التي كانت تسيطر على مقاليد الأمور في البلدان النجدية، وكانت تلك الصراعات تتمثل في الوراثة والاستيلاء بالقوة وانتزاع الإمارة ممن يتولون زعامتها، وكانت هناك صراعات داخل الأسر أحيانا، والصراع حول السلطة أمر معروف في العالم ولكن نسبة الصراع وشراسته تتأثران باختلاف الظروف، وعلى هذا الأساس فإن الصراع داخل الأسر الحاكمة في نجد حينذاك لم يكن أمراً غريباً، ولكنه لم يبلغ عنف الصراع بين أشراف الحجاز، ولم تكن صلة القرابة القبلية كافية لإيجاد جو من التآلف أو الوحدة الإقليمية.

وقد عاشت نجد حالة من التفكك السياسي، الذي كان نتيجة طبيعية لتلك الأوضاع، حتى غدت كل بلدة مستقلة بذاتها، ذات علاقة غير ودية مع جيرانها في أغلب الأحيان، وكان على كل أمير أن يظل في حالة استعداد عسكري أما لمهاجمة خصمه أو للدفاع عن بلدته.

وقد كانت العلاقات بين القبائل النجدية علاقات سيئة بصفة عامة، وكانت القوة هي الفيصل فيما يحدث بين القبائل من نزاع إعمالاً للمثل القائل: "نجد لمن طالت قناته "، وقد تعددت القبائل المتنازعة على موارد المياه ومواطن الكلأ في نجد، ومن الواضح أن قبيلة عنزة كانت أقوى من غيرها خلال بقية القرن العاشر والقرن الحادي عشر الهجري. ثم انحسر

نفوذها بعد ذلك، وقد كان الصراع على مناطق الكلأ والماء محتدماً بين قبائل مطير وحرب وقحطان وعتيبة وغيرها (العثيمين، ١٤١٨هـ).

ولذلك كانت البلاد في حالة من التفكك السياسي الشديد، فلم تكن هناك صلات، تتسم بالمودة بين الأمراء وشيوخ القبائل، الذين استقلوا عن بعضهم وعاش كل منهم في نطاق إقليمي محدود، وكان العداء طابعاً عاماً بينهم، ومما أدى إلى عدم قيام أية إمارة قوية في نجد وما حولها، بل إن إمارات نجد كانت من الضعف بحيث هيأت لأمراء الاحساء وأشراف مكة المكرمة أن يقوموا ببسط نفوذهم أحياناً على بعض المناطق في نجد، ما بين القرن الرابع الهجري حتى ظهور الدولة السعودية الأولى، وكان أغلب الأمراء المتنازعين في نجد لا يعرفون شيئاً عن السلطان العثماني ولا يدينون له بأي ولاء.

وسط فوضى اختلاف الأمراء والشيوخ، انتقل من القطيف ومن ضاحية هناك تسمى الدرعية مانع المريدي، ليزور ابن عمه ابن درع زعيم عشيرة الدروع الذي أقطعه قطعتين من الأرض وهما ما يعرف بالدرعية إلى الشمال الغربي من مدينة الرياض، وقد أطلق لفظ الدرعية في منتصف القرن التاسع الهجري على ذلك المكان. ومانع المريدي هو الجد الثالث عشر للملك عبدالعزيز - رحمه الله - وقد قوى نفوذه في المنطقة وازدادت شوكته وكثر تابعوه حتى أصبحت له الصدارة، وهكذا تلاشى نفوذ الآخرين أمام نفوذه، وهذه المنطقة كانت الأساس الإقليمي الذي

انطلقت منه الدولة السعودية الأولى، التي توحد تحت حكمها معظم المناطق المتنافرة والإمارات المتنازعة. وحدث هذا عندما وفد على الإمام محمد بن سعود عام ١١٥٧هـ الشيخ المصلح محمد بن عبدالوهاب، حيث اتفقا على انتشال نجد كلها وبقية مناطق الجزيرة من الشرك والجهل والنزاع والخلاف، ومنذ ذلك الاتفاق التاريخي بينهما سار الإمامان يدعوان معا إلى الله، ويصلحان العقائد ويوضحان حقيقة التوحيد.

وهكذا قامت الدولة السعودية الأولى على أسس إسلامية صحيحة، فتلك الدولة تشكلت خلال دعمها غير المحدود للدعوة التصحيحية التي قادها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب خلال دعوته الإصلاحية، وقد سانده ونصر دعوته الإمام محمد بن سعود صاحب الدرعية كما درسه بعمق بعض الباحثين التاريخيين (عبدالرحيم،١٩٧٩م) الذين درسوا نشأة الدولة السعودية الأولى، وهذا في حد ذاته يوضح بعض أسباب قيام هذه الدولة.

وقد كانت الدعوة الدينية بيد الإمام محمد بن عبدالوهاب أما السلطة السياسية فقد كانت في يد الإمام محمد بن سعود، فسارا في طريقين متوازيين نحو هدف واحد وغاية واحدة أساسها توحيد الله ثم توحيد القلوب والأهداف والأوطان، فعلت كلمة التوحيد، واتسعت مجالس العلم والدعوة إلى الله وكثر الدعاة، وأصبحت هذه الدولة حرباً على كل من لا يقبل الانصياع إلى حكم الله. وكان الإمام محمد بن سعود قدوة

obeikandl.com

طيبـة في صفـاء العـقيـدة، ولديه رغـبـة صـادقـة في تـوحيـد نجـد بصـفـاء العقيدة ثم بقـوة السيف والجهاد في سبيل الله، واضـعاً أسس ومعالم دولة قائمة على التوحيد و تطبيق شرع الله في أرضه تعد الأولى من نوعها في وسط الجزيرة العـربية منذ انتقال الخـلافة من المدينة المنورة إلى حـواضر العالم الإسـلامي الأخرى.

وقـد توفى الإمـام محـمـد بن سـعـود عـام ١١٧٩هـ بعـد أن أرسـى دعـائم الدولة السـعـودية الأولى، وخلفـة في رسـالتـه ابنه الأكـبـر عـبـدالعـزيز بن مـحـمـد،الإمـام الثاني مـن أئمـة الدولة السـعـودية الأولـى الذي قـاد شـئون الدولة بحكمـة وحنكة وشـجـاعـة، واسـتمـر يرفـع شـأنها من خـلال تـطبيق الشريعة الإسـلامية. ونستطيع القول أن كيـان هذه الدولة السعودية الأولى تحقق على يديه بعـد أن كان هنـاك بقيـة من التنافـر وعدم الـترابط، فقـام الإمام عبدالعـزيز بتقوية جيوش الدولة، حيث انطلق رجالها من نصر إلى نصـر، إذ بـالرغم من مـحـاولات النيل من كيـان الدولة الوليـدة، إلا أن قـوة عقيـدته بالله ثم تشجيع أهل العلم، مكنتـاه من مواصلة انتصـاراته وإشاعة الأمن في ربوع الـدولة وبث الطمـأنينة فـي نفـوس النـاس. كمـا قـام الامـام عـبـدالعـزيـز بتنظيم الدولة بعـد أن اتسـعت أرجـاؤها وبـدأت الفـتـوحـات تتوالى، وظل الإمـام يقود الجيش بنفسـه إلى أن اطمـأن إلى سـلامـة بنيـان الدولة. و قبل أن يتوفى الإمام عبد العزيـز بن محمـد بخمس عشرة سنة عين ابنـه سـعـوداً إمـامـاً، وبايعـه النـاس على الإمـامـة عـمـلاً برأي الشـيـخ

محمد بن عبدالوهاب. ولم يكن عجباً أن يعتزل الإمام عبد العزيز الحكم بعد أن قضى أربعين عاماً من حياته في توسيع نطاق دولته دون كلل أو ملل.

وفي العشر الأواخر من رجب عام ١٢١٨هـ استشهد الإمام عبد العزيز بن محمد في مسجد الطريف المعروف بالدرعية وهو ساجد في صلاة العصر، بيد رجل كردي معارض للدعوة الإصلاحية. وقد كان الامام عبدالعزيز شجاعاً مقداماً وكريماً سخياً وحاكماً عادلاً، و لم تكن تأخذه في الله لومة لائم بل كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويشارك العلماء في بحوثهم العلمية. كما كان كثير العبادة، وباسطاً للصدقات، حاكماً بين الرعية بالعدل. وقد اطمأنت البلاد في عهده وهدأت الخصومات، واطمأن الناس، وعاش الامام بينهم كواحد منهم، فاستقامت الحياة، فلم يعد هناك عدوان على حقوق الناس وانخفضت السرقات وعمليات قطع الطرق، حيث أصبح المسافر يجوب البلاد من أقصاها إلى أقصاها في أمن و أمان، ومعه أمواله لا يخشى أحداً إلا الله، كما أنه أسقط المكوس، ولم يفرض على رعيته الجباية غير الزكاة الشرعية، وفي عهده انطلقت الدعوة الإسلامية وترسخت أبعادها وكثر أنصارها، وظهر معدن أهل هذه البلاد الطيب و ازدادت خبرات الدولة بفضل ثبات عقيدة الإيمان، فكان هناك الخيل والسلاح ورجال الحرب المتميزين. ويوصف عصره بأنه عصر التوسع والانطلاق وإعلان كلمة الله، وإخلاص العبادة له، وتنفيذ

شرع الله تنفيذاً صارماً. وهكذا استقر سلطانه وأعلنت معظم مناطق الجزيرة العربية ولاءها وتأييدها له، وبدأ يتحدى الدولة العثمانية ويهاجمها. وصار لدعوته ولدولته شأن كبير.

وبعد ذلك جاء الإمام الثالث سعود بن عبدالعزيز وكان قد تمرس تحت إشراف أبيه، على أساليب الحكم وهذا ما ساعده على توسيع الدولة والتمكين لها، ورفع رايتها، وتوطيد هيبتها لا سيما بعد أن امتد الحكم إلى الحجاز وأدخل الحرمين الشريفين تحت قيادته ووصول الدولة السعودية إلى كربلاء و أطراف بادية الشام. وقد كان الإمام سعود بن عبدالعزيز عالماً تقياً ورعاً، حج مرتين في زمن أبيه وسبع مرات أيام حكمه، وهو أول من كسا الكعبة من آل سعود بأحسن الأقمشة الحريرية في عام ١٢٢١هـ و في عام ١٢٢٢هـ من القيلان الفاخر. لقد كان الإمام سعود بن عبدالعزيز على دراية تامة بتفسير القرآن الكريم، فقد أخذ العلم مباشرة عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكانت له معرفة تامة بالحديث والفقه.

وكان الإمام سعود ناصحاً للرعية وكانت رسائله لرعيته تشف عن بلاغة قوية وسعة علم، وحجة بالغة، ولعله أول من أكثر من استشارة خواصه، وكان بعد أن يأخذ رأيهم يلتقي بأهل العلم وكان رأيه يميل مع رأيهم. وهكذا بنى الشورى وأسسها وقد دام حكمه أحد عشر عاماً امتدت خلالها حدود دولته من أطراف عمان والخليج شرقاً إلى نجران واليمن

جنوباً، وشواطئ الفرات وبادية الشام شمالاً والبحر الأحمر غرباً. وقد جاء في قاموس الإعلام عنه أنه جند جيشاً كبيراً أخضع به معظم الجزيرة العربية، وكان على جانب كبير من العلم والأدب، والشجاعة، فلم تهزم له راية. وكان فصيح اللسان. وفي أيامه حشدت الدولة العثمانية جيوشاً من الترك وغيرهم بقيادة محمد على باشا سنة ١٢٢٦هـ لمهاجمة الدرعية.

وكانت وفاته -رحمه الله- في اليوم الحادي عشر وقيل الثامن عشر من جمادي الأولى سنة ١٢٢٩هـ بعد أن امتدت ولايته أحد عشر عاماً قضاها في إنجاز جلائل الأعمال، وخلفه الإمام عبدالله ابن سعود الذي اعتلى سدة الحكم وجيوش محمد علي تملأ السهل والجبل. وبعد العديد من الحملات المتتابعة التي قادها محمد على وابنه طوسون، تم الصلح مع الإمام عبدالله ورجع محمد علي، ثم جاء إبراهيم باشا فاستمر القتل والنهب والتدمير والإخلال بالوعود حتى وصل إلى الدرعية يوم ٢٩ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ وحاصرها بجيش كبير، وكان المدد مستمراً من مصر، واستمر حصار الدرعية خمسة أشهر وبضعة أيام، وبعد مقاومة باسلة اتفق الإمام عبدالله وابراهيم باشا على الصلح ولكن إبراهيم باشا لم يف بعهد واحد من شروط الصلح، حيث أرسل إبراهيم باشا من يهدم حصون الدرعية ويخربها، كما قام بنقل الإمام عبدالله إلى مصر وأسرته وأخوته وبعض رجاله وكانوا حوالي ١٤٠٠ شخص، فقابله محمد علي ثم

بعثه إلى تركيا. ويذكر المؤرخون في حوادث عام ١٢٣٤هـ أنه في شهر جمادى الأولى وصلت الأخبار أنه لما وصل إلى إسطانبول طافوا به المدينة، وقتلوه و أتباعه عند بعض أبواب المدينة. وبهذه النهاية المأساوية طويت صفحة الدولة السعودية الأولى التي كانت قصة تأسيسها تتجاوز حدود بناء الدولة إلى إعادة توطيد العقيدة وتصحيحها.

الدولة السعودية الثانية:

منذ أن قضى إبراهيم باشا ومن خلفه الأتراك، على الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، لم تخمد في البلاد روح الجهاد، ولم تتوقف الانتفاضات السعودية ضد الحكم التركي المصري في نجد، حتى تمكن الإمام تركي بن عبدالله من تأسيس الدولة السعودية الثانية، التي تمثل امتداداً تاريخياً وشرعياً للدولة السعودية الأولى. ومما ساعد على إعادة تأسيس هذه الدولة السعودية أن الدولة الأولى كانت قد تمكنت من نفوس الناس، كما أن المجتمع النجدي ظل يكن الولاء للأسرة السعودية التي قدمت نموذجاً مشرفاً في الدفاع عن البلاد ضد جيش محمد علي، كما ساعد على نشأة الدولة السعودية الثانية ما آلت إليه البلاد من سوء الأحوال في ظل معاملة سيئة من قبل الجند الذين دخلوا الدرعية ودكوا أبنيتها وأسروا حوالي ٤٠٠ فرد من آل سعود ومن آل الشيخ (الريحاني،١٩٨٧) وقيام الدولتين التركية والمصرية بإخماد هذه الانتفاضات بأسلوب يتجافى مع الروح الإسلامية، بل مع القيم قاطبة،

ومن أهم هذه الانتفاضات انتفاضة الأمير مشاري أخو الأمير عبدالله بن سعود الكبير، الذي انسل من قافلة الأسرى المرسلين إلى مصر وجمع أنصاره وتوجه إلى الدرعية وكان يحكمها أحد أفراد أسرة آل معمر، فتنازل محمد بن مشاري بن معمر عن السلطة للأمير مشاري بن سعود، وكان التنازل خدعة إذ تمكن ابن معمر من القبض على الأمير مشاري وتسليمه للأتراك في عنيزة فأعدمه الترك بأمل الإجهاز على كل آل سعود. ثم حدثت انتفاضة أخرى قادها الأمير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، الذي نازع ابن معمر على الإمارة، وتمكن من قتل خصمه جزاء ما اقترفه من إثم في حق ابن عمه مشاري بن سعود، وبهذا استطاع الأمير تركي أن يسيطر على الدرعية، و بدأت فترة حكم الأمير تركي الأولى، ولم يسكت الأتراك ففرضوا على الأهالي غرامات باهظة، وتعقبوا الأمير تركي الذي لم يسكت بدوره، وقاد انتفاضة ثالثة حيث حاصر الحامية التركية، وجعلها تستسلم له واستولى على الرياض، واتخذها مقراً لحكمه فأصبحت الرياض منذ ذلك عاصمة للدولة السعودية.

ونظراً لأهمية الأعمال التي قام بها الأمير تركي بن عبدالله فقد نظر إليه كثير من المؤرخين باعتباره المؤسس الأول للدولة السعودية الثانية، ولكن أغلب المؤرخين قالوا إن التخلص من الترك والاستقلال الفعلي تم في فترة حكم الإمام فيصل بن تركي للمرة الثانية، أي بعد جلاء قوات محمد علي عن جزيرة العرب حيث استقلت الدولة السعودية الثانية استقلالاً تاماً.

وعندما تولى الأمير فيصل الحكم بعد مقتل مشاري بن عبدالرحمن، بدأت تبزغ شمس الشورى ولكن دون أن ينص عليها في خطابه إلى شعبه الذي يستخلص المؤرخون منه أموراً ثلاثة هامة أولها: اهتمام الأمير فيصل بالعقيدة والدين، وثانيها: لما كان القرآن الكريم هو أساس العقيدة، وفيه من الآيات ما يدعو ليس فقط إلى التقوى وعمل الخير وغير ذلك، بل أيضاً إلى الشورى، فكأن مبدأ الشورى مرعيا ضمناً في هذه الدولة.

وثالثها: حض الشعب على الوحدة والتماسك،إذ قال في خطابه "وقد رأيتم ما في الجماعة من المصالح العامة والخاصة وما في التفرق من الشر في أمر الدين والدنيا (ابن بشر،١٩٣٠) ولكن القوات المصرية التركية لم تترك الأمير يكمل مسيرته التي أثمرت في أربعة أعوام وحدة قوية لا مثيل لها، وإنما حاصرته وزحفت على أطراف ملكه حتى استسلم الأمير فيصل بن تركي في رمضان ١٢٥٤هـ وأرسل إلى المدينة المنورة رفقة أخيه جلوي وابن أخيه ووالديه، وسافر الجميع إلى القاهرة. وفي عام ١٢٥٩هـ استطاع الأمير فيصل بن تركي الخروج من السجن في مصر، وعاد إلى الرياض لتبدأ الفترة الثانية من حكمه (١٢٥٩- ١٢٨٢هـ) وهي أقوى فترات الدولة السعودية الثانية وفيها ضم كامل نجد، والأحساء وعسير. وبعد وفاة الإمام فيصل عام ١٢٨٢هـ خلفه ولي عهده وابنه الأكبر عبدالله، ولم يرض سعود، أخ الإمام عبدالله بذلك، فبدأت المنافسة التي أدت إلى قيام حرب أهلية استمرت أكثر من عشرين عاماً، وأدى ذلك في النهاية إلى سقوط الدولة السعودية الثانية.

الرسم الهيكلي في الدول السعودية الأولى والثانية والحديثة(*)

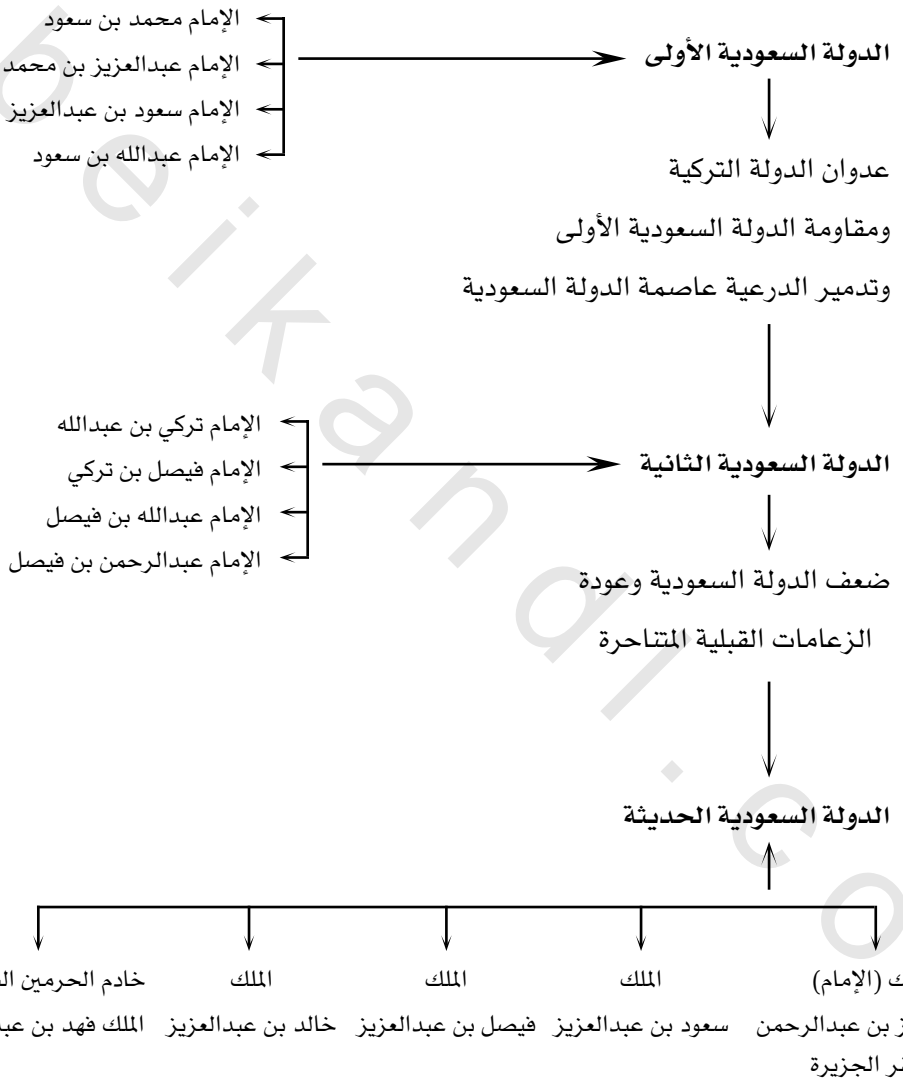

(*) المصدر: رسائل أئمة دعوة التوحيد.

الدولة السعودية الحديثة:

بعد سقوط الدولة السعودية الثانية، غادر الإمام عبدالرحمن وبعض أتباعه إلى قطر ثم البحرين ليستقر في الكويت، وقد صحبه ابنه عبدالعزيز، وكان عمره لا يتجاوز ست عشرة سنة، وولد الملك عبدالعزيز على أرجح الروايات عام ١٢٩٣هـ (الزركلي،١٩٨٥) (العثيمين، ١٤١٨هـ) ويقول الأمير طلال بن عبدالعزيز: "ولكن الحقيقة التي أعرفها عن والدي شخصياً أنه ولد عام ١٢٩٣هـ" (صور من حياة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ).

ولم يشاهد مجد جده فيصل بل عاش محنة أبيه الإمام عبدالرحمن وعائلته. وكان عبدالعزيز قد ختم القرآن في الحادية عشرة من عمره ودرس التوحيد والفقه على يدي الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، كما كان قد تعلم الفروسية والرماية.استقر عبدالعزيز مع والده في الكويت حيث بقى هناك زهاء عقد من الزمن، وقد ذاق عبدالعزيز مرارة العيش بعيداً عن ملك آبائه وأجداده، وكبر عليه أن يعيش في كنف حاكم آخر بعد أن كان وأسرته بالأمس سادة نجد. وبدأ عبد العزيز مخاطرته الأسطورية بالهجوم على الرياض، واستطاع بصحبة ثلاثة وستين من أصحابه "بعد الدراسة المتأنية التي قامت بها دارة الملك عبدالعزيز ثبت أن العدد ثلاثة وستون رجلاً" أن يستولي عليها وعمل على استرداد ملك آبائه وأجداده، مما أثار مخاوف الدولة العثمانية التي رأت في قوته

واتساع نفوذه ضياعاً لهيبتها، فساندت ابن الرشيد بجيش تركي مزود بالمال والأسلحة الحديثة، ولكن عبدالعزيز انتصر في موقعتي الشنانة سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م)، وروضة مهنا سنة ١٣٢٤هـ وهما من المواقع الفاصلة في تاريخ الجزيرة الحديث، وكانت لهما نتائج حاسمة.

بعد هذا الانتصار أجبر عبدالعزيز القوة العثمانية على الانسحاب وأصبح سيد نجد شمالها وجنوبها، ثم ضم منطقة الأحساء التي كانت جزءاً من الدولة السعودية الأولى والتي دام الحكم العثماني لها اثنتين وأربعين سنة. وأخيراً اعترفت الدولة العثمانية بالحكم السعودي ومنحت الإمام عبدالعزيز أعلى رتبها وأقرته حاكماً على نجد وملحقاتها، وقد فعلت ذلك مرغمة تحت ضغط انتصاراته، بدليل أنها كانت تمد بعض الأشخاص في بعض المناطق بالأسلحة سراً لمهاجمته. وقد شعرت بريطانيا أيضاً بقوة الإمام عبدالعزيز، لا سيما بعد أن ضم معظم عسير وحائل إلى دولته الناشئة ثم بدأ يزحف على الحجاز واستولت قواته على الطائف، و تقدمت حتى مشارف مكة، فطلب الشريف حسين مساعدة بريطانيا فاعتذرت بحجة أن حربه مع السلطان عبدالعزيز هي حرب دينية، وقد انهار موقف الشريف حسين فتنازل عن الملك لابنه علي في ٤ ربيع الأول ١٣٤٣هـ (١٩٢٤/١١/٢) وخرج إلى جدة تاركاً مكة التي دخلها الجيش السعودي في ١٧ ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤/١٠/١٦). وقد قبل السلطان عبدالعزيز بيعة أهل الحجاز ملكاً في ١٣٤٤/٦/٢٥هـ

(١٩٢٦/١/١٠م) وبذلك استكمل الملك عبدالعزيز مقومات البناء السياسي للدولة السعودية الحديثة، واستقر لقب الإمام أو السلطان لعبدالعزيز فأصبح ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ثم تكرس لقب الملك عندما توحدت المملكة عام ١٣٥١هـ باسم المملكة العربية السعودية (العتيبي،١٤١٤هـ).

الشرعية التاريخية للنظام السياسي السعودي:

مر المجتمع السعودي بعملية تطور سياسي منذ بداية الدولة السعودية بجميع مراحلها السابقة والحديثة، ويشهد سجل الأعمال على إنجازات ذلك الجيل من سلالة عظيمة حكمت في بلاد العرب لثلاثة قرون، وشرعية هذه الأسرة في الحكم تستند أولاً: إلى الدين الإسلامي الذي هو شريعة سكان الجزيرة العربية بوجه خاص منذ البعثة النبوية الشريفة والذي قامت القيادة السعودية بنصرته ورعاية الحرمين الشريفين، وثانياً: تعد الأسرة السعودية رمزاً لوحدة هذا الكيان (المملكة العربية السعودية) متمتعة بحب وإعجاب المجتمع السعودي بالمؤسسين الأوائل لهذه المملكة وبالجهد والتضحيات التي بذلوها في سبيل توحيد مناطقها الواسعة تحت راية التوحيد والعدالة، والحب والأخوة. وتعرف القيادة السعودية بالتزامها بالثوابت الإسلامية ثم العادات والتقاليد العربية الأصيلة. (الخولي،١٩٨١). وقد أحسنت القيادة السعودية في تبني العقيدة الإسلامية ونشرها مما أدى إلى ربط القبائل المتفرقة في شبه الجزيرة

العربية وانصهارها تحت لواء الإسلام، و توحيدها في كيان واحد هو المملكة العربية السعودية. ويؤكد بعض المفكرين السياسيين (المهنا،١٩٨٠) أن الحكام السعوديين كانوا يجمعون بين التمسك بالشريعة الإسلامية والعادات العربية الأصيلة، وقد استمر هذا الجمع قائماً رغم ما يعتريه من ظروف و متغيرات. ثم إن دور القبيلة تلاشى بعد قيام المؤسسات لإدارة البلاد وانخراط أبناء القبائل وغيرهم لخدمة البلاد عن طريق هذه المؤسسات. وانصهر النظام القبلي في مؤسسات الدولة ليصبح جزءاً من النظام السياسي السعودي العام، وساعد على استقرار هذا النظام التزام الدولة السعودية بالشريعة الإسلامية مع الاستفادة من المستجدات الحضارية الحديثة التي لا تتعارض مع الإسلام.

اعتبرت الدولة السعودية الشريعة الإسلامية هي الأساس الذي تستمد منه الأنظمة الأساسية في الدولة السعودية الحديثة، وتؤدي نفس الغرض الذي يتوافر في الضمانات الدستورية في الدول الغربية (Meadows 1971) ويمكن مناقشة مظهر الشرعية أيضاً من وجهة نظر تحليلية لحالات الدول المجاورة الأخرى، فالخلفيات الاجتماعية والسياسية للمناطق المتنوعة في شبه الجزيرة العربية متشابهة بشكل كبير جداً، وطبيعة الحياة القبيلة في هذه البلاد كانت ومازالت متشابهة نسبياً. لقد مرت المنطقة بكاملها في حالة اقتصادية صعبة وظروف شاقة من الحياة، ومثل تلك الظروف الحيوية والبيئية والاجتماعية أجبرت مواطني

الجزيرة العربية على اتباع نوع فريد من النظام الاجتماعي والتقاليد الدينية والسياسية والانتماءات، فالقبيلة بل إن رئيس القبيلة كان دائماً هو المرجع الذي يقود القبيلة ويوجهها في الأوقات الصعبة كالجفاف أو عند ظهور أي خطر، وهذا يعني أن القبيلة تدين بوجودها وفرحتها بالانتصارات للتوجيه الحكيم من جانب زعيمها، لكن هذا الدور المهيمن للقبيلة الذي كان سائداً في كل بلدان الخليج قد تغير ليس فقط في المملكة العربية السعودية كما بينا سابقاً، لكن في جميع دول الخليج أيضاً. ذلك التغيير أدى إلى الاعتقاد بأن الدولة المسلمة ملتزمة بشكل رئيسي لعموم المواطنين بتحقيق رفاهيتهم وتماسكهم الاجتماعي، وذلك من أجل جمعهم ضمن شخصية اجتماعية وسياسية موحدة. والقرآن الكريم يحث المسلمين على طاعة ولي الأمر، الذي يحظى بمكانة عالية في القرآن و السنة طالما أنه لم يأمر بما فيه مخالفة شرعية لأمر ثبت من الدين بالضرورة.

إن شريعة الإسلام شريعة تامة جاءت لما فيه خير البشر، ويجب أن يكون هذا سبباً يدعم خصوصيتها السمحة. من هنا يمكن إثبات أن الميزات الأكثر أهمية في الأنظمة السياسية المسلمة هي سيطرة الشريعة الإسلامية على كل شيء في الدولة.

واستناداً إلى تحليل الأسباب الدينية التي تبرر شرعية الحكم السعودي، وبالإضافة إلى المناقشات التاريخية للكفاح البطولي الذي

مارسه القادة السعوديون، يمكن القول بأن جذور هذه الشرعية تمتد حتى عام ١١٥٧هـ وهو التاريخ الذي يشير إلى التحالف الذي عقد بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهذه الصيغة التحالفية كانت وما زالت تنمو، وتتدعم وتتقوى بالإصلاحات الاجتماعية والتعليمية والدستورية السياسية المتعاقبة.

وهذا الإنجاز الذي أدركه المجتمع السعودي الحديث يمكن أن يشهد بأصالة هذه الشرعية، كما يمكن أن يوضح أن الأسرة السعودية قد شجعت كل هيئاتها على الاهتمام الأفضل بعامة المواطنين السعوديين.

إن الحالة السياسية والاجتماعية في الدول العربية المجاورة، بالإضافة إلى تحملها الحروب، أظهرت الكثير من المساندة والولاء والأمان للزعماء السعوديين، كما أن تلك الحوادث قد أظهرت أن أفراد الأسرة السعودية قد جاهدوا جهاداً صادقاً لكي يقيموا دعائم السلام والعدالة والمساواة مع كل القبائل العربية في جزيرة العرب، مع إعطاء المثل في الشجاعة والحكمة التي تمتعت بها القيادة السعودية، وهي التي ساهمت بالتأكيد في تعميق الدستورية السياسية والتغييرات الاجتماعية.

لقد كانت مرحلة التغيير والتطور في المجتمع السعودي الحديث، ومازالت، تسير بشكل سريع ولكنها كانت تنظر بعين إلى المبادئ الإسلامية التقليدية وبالأخرى إلى الوسائل الصحيحة للتطور لكي تصنع مستقبلاً باهراً للأجيال السعودية الصاعدة. ومن خلال هذه العملية كان يمكن

ملاحظة المحافظة على الشكل التقليدي للأخلاق والتمسك بالمبادئ الإسلامية. كما إن النظام السياسي الحاضر يعمل على أن يكون الشكل المثالي للحكومة كما هو وارد في أحكام الإسلام، وبهذا الخصوص يثبت البعض (العوا، ١٩٨٩) أن في الشكل السعودي للحكومة إحساساً دينياً قوياً يبدو في أي نشاط يقوم به أي موظف سعودي، وأن الوازع الديني قوي لدى عموم الناس، كما أن في تطبيق الشريعة الإسلامية للدولة نجد أنه ليست هناك هيئة تشريعية لأن التشريع موجود في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولا داعي لوجود الهيئة التشريعية، لأن التشريع الإسلامي قد انتهى منذ انقطاع الوحي والسنة النبوية الشريفة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم والتي هي التشريع الأفضل، ويتميز الإسلام بسلطة واسعة للهيئات القضائية والتنفيذية وتعبير "الأحكام الدنيوية" يكون مقبولاً طالما أنه منسجم مع أحكام الإسلام، وهذا لأن أحكام الإسلام تعد، من قبل المسلمين، خطط عمل وأطراً جيدة كافية لأن تصنع طريقة حياة صالحة في هذا العالم، توفر السعادة والأمان في الدنيا ورضى الله في الآخرة. ومن أجل مزيد من الوضوح علينا فهم مصادر التشريع في الإسلام وهي: القرآن الكريم، وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والإجماع والقياس وغيرها من المصادر التي تجعل الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان.

أما تعبير "الإجماع" فيشير إلى اتفاق مجتهدي أمة الإسلام بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- على حكم شرعي، وذلك يستلزم المشاورة

وتبادل وجهات النظر الدينية. ويتبنى أعمال الإجماع أغلبية علماء المسلمين الموثوقين، ولذا فإنه يجب أن يتبع ويحترم في جميع ما يتعلق به من ممارسات شرعية اجتماعية.

والقياس هو إنزال حكم الأصل على الفرع لعلة جامعة بينهما وهذا يعني أن علماء المسلمين أو الأشخاص الذين يمتلكون ثقافة ومعرفة إسلامية غزيرة، ربما يواجهون حالات فريدة و جديدة فيقارنونها بأحكام سابقة و يقيسون على أمور مماثلة حدثت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو عهود الخلافة الراشدة.

وتفضي نتائج الدراسات الشرعية إلى أن المملكة العربية السعودية قد اعتمدت على حكم الشريعة (الإسلامية) في المجتمع السعودي، وجميع مظاهر الحياة الاجتماعية فيه تتأثر بأنظمة الإسلام وتعاليمه.

يقول هوبداي (١٩٧٨م) إن القرآن الكريم عظيم ورائع لأسباب منها: احتواؤه على قدر من القواعد والتعليمات الإلهية يمكن أن تضبط كل ما يتعلق بالحياة اليومية، وهو الوثيقة الأكثر كمالا، فهو لا يعرض الأفعال الدينية التي يجب أن تؤدى، ولكن يعرض كل ما هو مطلوب لإيجاد مجتمع يحكم القانون الإلهي فيه كل الممارسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والسبب الآخر في روعته وعظمته تتمثل في تمسكه بالالتزام الديني الصارم بأحكام الله، فهذا التمسك ما زال قوة رئيسية في المملكة، وقوة الرأي الملتزم تنمو في اطراد، لأنها تستمد شرعيتها

وقوتها من المبادئ الصحيحة التي أنزلت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا النمو بدأ يحظى باهتمام متزايد بوصفه قاعدة عامة للتغيير الاقتصادي.

وحسبما يذهب إليه البعض (القاسمي،١٩٩٠) فإن المحافظين والمجددين قد اختلفوا في الرأي بخصوص استعمال أنواع التقنيات بشكل ملائم، وكيف تحقق الاستخدام الأمثل للثروات العظيمة للمملكة، ووقع اختلاف بين الجانبين في صميم الكثير من قضايا البلد السياسية، ولكن إجماع هيئة العلماء الإسلامية السعودية قد انعقد على أن أية عملية للتحديث يجب أن تلتزم بالقيم الإسلامية، وفي كلمةٍ للملك عبد العزيز ألقاها في الطائف ونشرتها صحيفة البلاد سنة (١٩٤١م) يمكن الإشارة إلى قوله: (نحن لا نملك سبباً للفخر إلا بالإسلام، ولا نستطيع الحصول على الأمن إلا بالمحافظة عليه، ومن دون الإسلام سنبوء بغضب الله، وإن ما أريده وأطلبه منكم هو تأييد مبادئ ديننا، وهذه سياستي التي صممت على اتباعها ولن أتركها، لأن مسألة كهذه لا يجرؤ أحد على المغامرة بها).

إن أحكام الإسلام تحظى بالاهتمام والاحترام و التطبيق في المستويات العليا للدولة، فهم يتخذونها مبدءاً أساسياً للقيادة السعودية، والشريعة هي وحدها التي تحكم في القضايا العامة. ويمكن أن نلخص مقومات الشرعية الدستورية للملكة العربية السعودية فيما يلي:

١- العامل الديني: عرفت القيادة السعودية بالتمسك بالعقيدة الإسلامية، وبالالتزام بأحكام الشرع مما أكسبها مكانة خاصة وترحيباً قوياً من السكان بالجزيرة العربية حاضرةً وبادية، وأدى تبني هذه الروح الدينية من قبل القادة السعوديين الأوائل والمعاصرين إلى جعل القبائل العربية تمد القيادة السعودية بالتأييد الشعبي والمساندة السياسية، في ظل احترام جميع المعتقدات الدينية.

٢- الأسرة السعودية تعد رمز الوحدة للشعب السعودي فبعد أن كانت البلاد مجزأة إلى أقاليم وحكومات، توحدت البلاد تحت الحكم السعودي بمفهوم التوحيد الشامل الديني والسياسي، وأصبحت الأسرة السعودية هي الرمز لهذه الوحدة.

٣- أدت التغييرات الاقتصادية واستخراج النفط والتطورات الاجتماعية التي شهدتها المملكة العربية السعودية إلى دعم الدولة لكل المؤسسات الدينية وتنظيمها ضمن جهاز الدولة، ما مكن هذه المؤسسات من أداء دورها تحت مظلة الدولة وبالتالي دعم شرعية الدولة.

٤- كان للكفاح في سبيل العقيدة، والأعمال المشهودة من أجل توحيد البلاد، وسلسلة التضحيات التي قدمتها طوال الكفاح في أدوار الدولة السعودية الثلاث، دور كبير في جعل القيادة السعودية صاحبة الحق في الحكم وتحقيق الأهداف النبيلة لتوفير بيئة اجتماعية وسياسية آمنة للناس في شبه الجزيرة العربية.

٥- لقد نجح الحكام السعوديون في نقل المجتمع السعودي من حالة الاختلاف و التفرق إلى الاتفاق والوحدة في مجتمع حديث تحكمه الشريعة الغراء، كما أن الإنجازات الكبيرة في خطط التنمية المتلاحقة أثبتت حكمة القيادة السعودية، ودعمت شرعيتها في إدارة، البلاد واستغلال الموارد المالية لبناء الوطن والمواطن في ظل الاستقرار السياسي المستمد من تحكيم الشريعة الإسلامية.

obeikandl.com

مراحل تغير ألقاب الحكام في المملكة العربية السعودية(*)

الدولة السعودية الأولى والثانية: يطلق على الحاكم لقب (إمام) وكان في ذلك الوقت يُعد الحاكم إماماً في الدين وقائداً في السياسة.
الدولة السعودية الحديثة:
● عندما بدأ الملك عبدالعزيز توحيد الدولة السعودية الحديثة منذ عام ١٣١٩هـ لم يتخذ لقب إمام لأن لقب الإمام آنذاك كان يطلق على والده الإمام عبدالرحمن ففي بداية حكمه كان ينادى الملك عبدالعزيز باسم (الشيوخ).
● بعد ضم الأحساء ١٣٢٢هـ - ١٩١٤م خاطبته المعاهدة باسم (عبدالعزيز باشا آل سعود والي وقائد نجد).
● بعد المعاهدة السعودية البريطانية ١٣٣٤هـ - ١٩١٥م أصبح لقبه (أمير نجد ورئيس عشائرها).
● بعد انعقاد مؤتمر الرياض ١٣٣٩هـ أصبح اللقب (سلطان نجد).
● بعد ضم حائل وعسير ١٣٤٠هـ إلى ملكه تغير لقبه إلى (سلطان نجد وملحقاتها).
● عندما سيطر على الحجاز عام ١٣٤٤هـ أصبح لقبه الكامل (ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها).
● بعد مؤتمر الرياض ١٣٤٥هـ وتسمية (مملكة نجد وملحقاتها) تغير اللقب إلى (ملك الحجاز ونجد ملحقاتها).
● التغير الأساسي حدث في عام ١٣٥١هـ بالمرسوم الملكي بأنه بناءً على ما رفعه المواطنون للملك عبدالعزيز مطالبين بتوحيد كل أجزاء الدولة فإن اسم (مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها) سوف يتغير إلى اسم (المملكة العربية السعودية) ويعتبر بذلك لقب الحاكم السعودي ملك المملكة العربية السعودية ويعتبر كذلك الأول من الميزان ٢٣ سبتمبر هو اليوم الوطني للبلاد.
● تبنى الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- عام ١٤٠٧هـ لقب خادم الحرمين الشريفين بدلاً من صاحب الجلالة وأصبح يطلق على الحاكم (خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية).

(*) المصدر: الشلهوب ١٩٩٩ .

obeikandl.com